04:00 PM

بقالي 20 سنة في نفس الوظيفة.. شغلي كان بيلزمني أقتل حوالي 300 طفل يوميًا.. واحتمال بعد دقايق أقتل أقرب الناس ليا!

عارف إن الموضوع بيان غريب وقاسي من برة.. بس الفكرة أعقد وأهم من كده بكتير.. مساء الخير، أنا دكتور "إحسان عبد النور".. أشهر مبرمج-نفسي في مصر.

الموضوع كله بدأ سنة 2030، يعني تقريبًا من 20 سنة، وقتها كان عندي 50 سنة، كنت من المبرمجين القليلين المهتمين بعلم النفس.. كان من أحلامي إني أنفذ مشروع قايم على علم النفس، وأعمل تغيير حقيقي في العالم.. فضلت سنين أجرب وأحاول من غير أي فايدة.. لحد ما قريت عن نظرية الـ Early decision.

نظرية "القرار المبكر" في علم النفس بتقول إن الطفل وهو في عمر خمس سنين بيكون أخد قرارات حياته كاملة جوة عقله الباطن؛ بُناءً على اللي شافه في السنين الأولى من عمره، وبناءً على كيمياء دماغه نفسها.. تخيّل إنك ممكن تقرا مستقبل

الناس وتخمِّن اختياراتهم بسهولة، كأنهم شخصيات في رواية، وتعرف مصايرهم قبل هما نفسهم ما يعرفوه!

النظرية شغلت بالي لفترة طويلة، فكرت في برنامج يخلينا نقدر نشوف الـ Early decision الخاص بكل طفل.. وعلى أساسه نقدر نحدد مستقبله، كوِّنت فريق علمي كبير.. وكنت محظوظ بسيدة أعمال اسمها "مشيرة البحيري" واللي كانت شابة صغيرة جدًا وقت ما بدأنا.. مشيرة آمنت بمشروعي ودفعت فيه ملايين لحد ما قدرت أنفذ برنامج (04:pm) واللي بيقدر يدخل جوة عقل الطفل ويوصل لنا قراراته الجاية في حياته، واحتماليات الخير والشر.

اسم البرنامج غريب، بس أنا سميته على اسم الساعة اللي أثبت نجاحه فيها، جربناه على أكتر من طفل، وفعلًا أثبت فعاليته مع الوقت.. كان في تخيلي إني ممكن أساعد الناس تختار لأولادها طريقة التربية والمجال الدراسي السليم، بحيث نخلق جيل من العباقرة، وكل طفل يتوظف في مكانه الصح.. بس الواقع كان عكس كده تمامًا.

أول البرنامج ما نجح، ظهر الوجه الآخر من "مشيرة البحيري".. واتحولت من سيدة الأعمال المتعاونة والمحبة للعلم.. لواحدة كل همها إنها تحقق مكسب وترجَّع الفلوس اللي صرفتها على المشروع.. مشيرة كانت أصغر مني بكتير، بس هي عمرها ما حسستني باحترام لمكانتي العلمية، ولا لسني اللي وصل 57 وقتها.

مشيرة قررت تبيع حق استخدام البرنامج للحكومة.. في الأول ماكنتش فاهم أهمية البرنامج للنظام إيه.. لحد ما بدأوا تأسيس المؤسسة، واللي سموها على اسم البرنامج "04:pm".. المؤسسة بقت شراكة بين مشيرة وبين الحكومة، وأنا

بقيت المدير العام للمؤسسة؛ بحكم إني أكتر حد فاهم البرنامج.. الكارثة الحقيقية كانت في نشاط المؤسسة نفسه.

نشاط المؤسسة قايم على حصر كل أطفال مصر اللي تموا 5 سنوات.. وبيفرزوهم من خلال البرنامج، بيفحصوا الـEarly decision بتاع كل طفل.. ويعرفوا هو هيكون إيه، وإيه القرارات اللي غالبًأ هيكمل بيها حياته.. وفي الآخر الطفل بيكون مصيره احتمال من 3 احتمالات:

1- إن الطفل تكون معدلات الخير والشر عنده متوسطة، وده بيرجع لأهل وبيعيش كواحد من عامة الشعب.

2- لو طلعت نسبة الطاعة والولاء عند الطفل أكتر من 90% المؤسسة بتحتفظ بالطفل في مشروع القادة، عشان يكون من المسئولين في المستقبل..

وعشان كده الحكومة قررت تخصص نصف المؤسسة لمشروع القادة، يعني أي طفل البرنامج بيظهر إن نسبة ولائه هتكون أكتر من 90% بيعيش جوة المؤسسة، وتحديدًا في مكان اسمه "الموسوعة"..

و"الموسوعة" عبارة عن غرفة كبيرة جدًا فيها كل المعلومات الممكنة في العالم وأي معلومة وصل لها البشر في أي مجال موجودة في الموسوعة بمنتهى الوضوح..

وده طبيعي لأن المعلومات والأفكار العلمية ما بقتش متاحة على الإنترنت زي الأول.. في نوع من احتكار العلم.. وحاليًا ماحدش يقدر يتطلع على المعلومات اللي فيها غير القادة الحاليين والأطفال

المستقبليين اللي البرنامج بيحددهم، وبيكون مع الأطفال أخصائيين من كل المجالات، وموظفين قادرين يردوا على أي سؤال عند الطفل..

ودول اللي بيساعدوا الأطفال في إنهم يقرروا باقي قرارات حياتهم، زي الدين والهوايات ونوع الدراسة.. عشان الطفل يخرج للحياة وهو متسق مع ذاته، ويبقى قائد مثالي وشخص عبقري في المستقبل.. وكده كده النظام واثق في ولاء الأطفال دول من خلال البرنامج بتاعي.. فبيأتمنهم على كل المعلومات دي.

3- لو نسبة الشر والتمرد عند الطفل أكتر من 90%، الطفل ده بيتقتل في نفس اليوم.

لما سمعت الاحتمال التالت رفضت، وقدمت استقالتي.. بس مسئولين النظام قعدوا معايا وشرحوا لي بالأرقام أهمية التخلص من الناس دي.. وحكوا لي قصص تاريخية عن أهمية المعرفة في منع الشر من وهو صغير.. يعني مثلًا هل لو نقدر نرجع بالزمن لطفولة هتلر أو هولاكو أو أي طاغية في العالم.. مش هنقتلهم وهما رُضَّع؟

في الآخر وافقت.. وبما إني مدير المؤسسة، كنت أنا المسئول المباشر عن أوامر قتل الأطفال، ومستحيل أمر يخرج من غير تأشيرتي.. اخترت طريقة القتل تكون بالسم أسهل وأسرع طريقة، واخترت الساعة 4 من كل يوم عشان يبقى ده معاد التصفية.. الموضوع كان قاسي وبشع جدًا، كنت بتعالج نفسيًا بسببه، وكل شوية أقعد مع نفس المسئول اللي أقنعني في الأول.. عشان يعيد عليا نفس الكلام، وأقدر أنام على الأقل.

طبعًا الناس في الأول اعترضوا، وظهرت بوادر احتجاج على النظام كله.. بس إحنا في 2050، يعني أي محاولة للتمرد تعتبر وسيلة سريعة للانتحار.. أول سنة شغل ماكنتش بنام تقريبًا من كتر الكوابيس اللي بتطاردني، ماكانش عندي أي وسيلة للرفض، ماينفعش أخرج عن النظام وإلا هموت، ومينفعش أسيب مشروع عمري حد غيري يستفيد منه.. حتى الصح والغلط، مابقتش عارفهم.. كل شيء بقى نسبي، كل الحقايق بقت ضبابية في عيني.

الموضوع في البداية كان مؤلم وقاسي بالنسبة لي، وسبب لي عقدة نفسية؛ لدرجة إني لحد دلوقتي عديت ال70 ولسه ماتجوزتش ولا خلفت، عشان ماشوفش لحظة تصفية ابني، واتخليت عن حلمي في طفل يشيل اسم "إحسان عبد النور"..

بس مع الوقت بدأت أتفهم دوافع الحكومة، وأفكر نفسي بالأسباب.. الأطفال دول قدام هيكونوا مجرمين ومتمردين في المستقبل، ودقة البرنامج عالية، يعني غالبًا القرار اللي بيظهر لنا هو اللي هيحصل فعلًا.. فيعني ليه ما نحميش العالم من شرورهم وهما لسه ضعفاء.

بقالي سنين في المؤسسة، اتعودت على صراخ الأهل، ومنظر وفاة الأطفال.. بس انهاردة أصعب يوم هيمر عليا في المؤسسة دي.. لأن "كريم" ابن أخويا هيتعرض لعملية الفرز!

أخويا أصغر مني بكتير وخلّف متأخر بعد محاولات طبية كتيرة جدًا، واحد زي أخويا في بداية القرن ال21 كان هيتصنف إنه عقيم، بس العلم ساعده بمعجزة إنه يخلّف.. من أول لحظة لكريم في الدنيا وأنا حبيته، واعتبرته ابني اللي خوفت أجيبه للدنيا.. وكنت بأجل التفكير في اليوم اللي هيتعرض فيه كريم للفرز، بس

اليوم جه آهه.. وأنا قررت لو كريم بعد الفرز طلع لازم يتصفى، أنا هنتحر.. مستحيل هأمر بقتل ابن أخويا بشكل مباشر.

إيدي كانت بتترعش وأنا ببتسم لكريم، وأخويا ومراته مستنيين برة في خوف.. وصلت الأقطاب بأطراف دماغه زي باقي الأطفال، وفضلت واقف مرعوب ومستني النتيجة..

بس عكس كل توقعاتي المتشائمة، كريم طلع من القادة، ونسبة الطاعة عنده زيادة عن الـ90%.. خرجت فرحان لأهله، وبلغتهم إني هشرف بنفسي على وجوده في غرفة "الموسوعة"، وإن هدفي الوحيد في الحياة إن كريم يبقى مدير مؤسسة 04:pm الجديد!

كنت مبسوط وأنا بوصَّل كريم بنفسي لغرفة "الموسوعة" عشان يتعلم ويبقى قائد في المستقبل..

النهاردة كان ممكن يكون أسعد يوم في حياتي، لحد ما جالي استدعاء عاجل من "مشيرة البحيري" صاحبة المؤسسة، والوحيدة بعد الحكومة اللي ممكن توجه لي أمر مباشر.

استغربت المرة دي، نظرات مشيرة مكانتش زي ما اتعودت عليها، كانت نظراتها متوسلة، كأنها محتاجاني فعلًا.. فهمت كل حاجة لما قالت لي:

- دكتور إحسان، أرجوك أنا في موقف صعب.. "طارق" هيروح مني!

اترعبت لما سمعت كلامها.. كنت عارف "طارق"، وعارف إنه أصغر أبناء مشيرة وسيادة الوزير جوزها.. وكنت عارف إن "طارق" كان جاي النهارده يتعرض للفرز، وكان مُتَنَبأ له إنه يكون أهم طفل في مشروع القادة.

بس مشيرة كانت منهارة وبتصرخ:

- تخيل إن البرنامج المتخلف بتاعك مطلَّع نسب الشر عند "طارق" أكتر من98%.. أنت تصدق إن طارق هيطلع مجرم أو معارض ولازم يتصفى وهو طفل مالوش ذنب كده!

برغم صعوبة الموقف ضحكت في سري، دلوقتي بقى البرنامج "بتاعي" أنا بس؟.. ودلوقتي بقت الأطفال اللي بتتصفى مالهاش ذنب؟ اللعبة طول عمرها بتتلعب كده، إحنا بنقتل الأطفال عشان المجتمع في المستقبل يكون أحسن، وفعلًا اللعبة نجحت ومؤخرًا لما جيل الأطفال اللي بقى يتعرض للفرز كبر وبقوا شباب، معدلات الجريمة والتمرد ما بينهم قلت جدًا.. صحيح حاجات أهم زي الفن والرياضة والمعارضة اختفوا، والناس كلها بقت شبه بعض، والحياة بقت مملة جدًا.. بس دي رغبة النظام.

عملت نفسي مش فاهم قصد مشيرة، لحد هي ما قالت بلهجة حازمة:

- دكتور إحسان، إحنا هنعمل لطارق استثناء، وهيدخل مشروع القادة.. وده هيبقى سري أنا وأنت وبس.

رديت عليها بنفس الطريقة كأني بقلدها:

- أستاذة مشيرة، مفيش حد في النظام هيسمح لك تعملي ده، والبرنامج أثبت فعاليته ودقته لسنين طويلة.. إحنا مش هنربي موسى في بيت فرعون!

وبالفعل خرجت من عندها، وأمرت الحراس بتصفية طارق، وتاني يوم حضرت العزاء بتاعه.. مشيرة عمرها ما هتسامحني، بس الحياة علمتني إن الصح لازم

يتعمل.. فكرت جديًا إني أستقيل من منصبي، أنا تعبت من التصفية.. بقيت زي عامل النظافة، لازم يتعامل مع القذارة بنفسه، عشان الناس تكون سعيدة.

بعد سنة كان آخر يوم ليا في المؤسسة اللي بنيتها بنفسي، وخلال السنة ماتكلمتش تقريبًا مع مشيرة ولا جوزها، قررت أسيب البرنامج يكمل اللي أنا بدأته، وأكمل أنا باقي أيام في سلام.. القرار كان المفروض يكون بدري عن كده بكتير، بس كان فيه مشكلة كبيرة بتواجه المؤسسة.. كان فيه تسريب بيحصل لأهم معلومات المؤسسة، وحد من جوة بيطلع أخبارنا لعامة الناس وباقي الأنظمة، وظهرت أخبار من غرفة "الموسوعة" على الإنترنت.. حاولت طول السنة أوصل للخاين، وصفينا عناصر كتير، بس من غير أي فايدة.

آخر قرار كنت أتوقع إني آخده هو الاستقالة، بس خلاص نفسيتي استحملت كتير.. وقررت قبل ما أمشي أسلم على كريم ابن أخويا.. للأسف طول السنة كنت باوصي عليه من مكتبي، ومقابلتوش ولا مرة.. كنت متوقع إني هشوف تغيير كبير في شخصيته بعد ما قضى سنة كاملة في غرفة "الموسوعة".. بس كل توقعاتي فشلت!

سمعت صوت خبط على الباب، افتكرت إن وجبة الغداء بتاعتي لسه ماجتش من مطبخ المؤسسة.. كان قراري إن كل أفراد المؤسسة لازم يفطروا ويتغدوا من نفس الأكل.. بس عكس توقعي لقيت واحد من حُراس غرفة "الموسوعة" دخل من الباب، وقال لي إن كريم ابن أخويا معاه، بص وراه وطلب من كريم يدخل.. وأول ما شوفت "كريم" قلت جملة واحدة:

- مين ده؟!

الحياة علمتني إن الصح لازم يتعمل، بس أنا ماستوعبتش إني لازم أتأكد إنه فعلًا بيتعمل.. سألت الحراس وأنا مش قادر أتمالك أعصابي، وعرفت إن مشيرة بدلت الطفلين؛ لأنهم وصولوا للمؤسسة في نفس اليوم.. "طارق" المعارض اتعين في مشروع القادة، وانضم للفريق، و"كريم" المطيع اتصفى!

مصيبتي كانت مصيبتين، مصيبة موت كريم اللي عرفتها متأخر سنة كاملة، ومصيبة موسى اللي اتربى في بيت فرعون.. دلوقتي بس عرفت ليه كل مهمات المؤسسة كانت بتيجي لي طول السنة، عشان أتلهي وما أسألش عن كريم.

طلبت إني أقعد مع طارق لوحدنا، ملامحه كانت غريبة، مش ملامح طفل عنده 6 سنين بس.. دي ملامح ونظرات راجل كبير، وأكبر مني كمان، طارق قال لي وهو بيضحك:

- طبعًا أنت دلوقتي عرفت مين كان بيسرب أخبار المؤسسة.. ومين سرب كل المعلومات في غرفة "الموسوعة" على الإنترنت من دقايق بسيطة قبل ما تستدعيني، عشان أي حد حابب يعرف أي معلومة يعرفها..أمي حاولت تنقذني، بس فيه ملايين الأطفال غيري اتقتلوا من غير أي ذنب.

مكنتش مستوعب إني بسمع الكلام ده من طفل صغير.. كنت عارف إن تصرف مشيرة هو نهاية المؤسسة.. بس مكنتش أعرف إن النهاية دي قريبة أوي كده، غير لما طارق بص في ساعته وكمِّل كلامه وهو بيضحك:

- طبعًا حضرتك سهل تخمن إني عرفت تركيبة السم اللي بتقتلوا بيه الأطفال، وانهارده الصبح عملت hacking على البرنامج اللي بيحدد مواصفات الأكل، وزودت كميات كبيرة منه في الوجبات اللي كل موظفين المؤسسة اتغدوا منها النهاردة ومنهم أنا وأمي، وأطفال مشروع القادة بالكامل.. وطبعًا فهمت إني طلبت من البرنامج يأخر وجبة الغداء بتاعتك

عشان تبقى الشاهد الوحيد على الحادثة دي.. وتشوف كابوسك وهو بيتحقق قصاد عينيك.

أنت شوفت كتير في ال70 سنة اللي عيشتهم، بس وعد مني اللي هيحصل دلوقتي هيكون أعظم من كل اللي فات.. بحسبة بسيطة حضرتك هتشوفنا كلنا وإحنا بنموت بعد دقيقتين من دلوقتي.. تحديدًا في المعاد المفضل لحضرتك؛ 04:00 PM..
كابوس سعيد يا دكتور إحسان.

#4:pm

#عبدالرحمن_جاويش